# Issues of the Arab and Islamic world in Algerian political thought In Masali Hadj and Sheikh Abdul Hamid bin Badis thoughts

# قضايا العالم العربي والإسلامي في الفكر السياسي الجزائري عند مصالي الحاج والشيخ عبد الحميد بن باديس

خلادي بلهادي
جامعة طاهري محمد–ولاية بشار
khelladi_belhadi@yahoo.fr

د.غازي جاسم الشمري
جامعة أحمد بن بلة وهران

قدم للنشر في: 2018/05/04 قبل للنشر في: 2018/00/00

**Abstract:**
The Political Thought of both Masali El Haj and Sheikh Abdelhamid Ben Badis considered a wide range of different political struggle methods to defend the political, economic and social rights of the Algerian people and the Maghreb and Islamic peoples. Through their activity they expressed their total rejection of all forms of colonial domination, Their clear positions of all challenges and the totality of the issues of the Arab and Islamic nation, with the ultimate aim of their struggle, independence.

**Key words** : Political Thought - Masali El Haj - Abdel Hamid Ben Badis - Colonial domination - struggle - independence - peoples - the Arab world - the Islamic world.

**الملخص :**
أُعتبر الفكر السياسي عند كل من مصالي الحاج و الشيخ عبد الحميد بن باديس مجالا فسيحا لمحمل أساليب النضال السياسية المختلفة من أجل الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري والشعوب المغاربية والاسلامية ،فبرز من خلال نشاط كل منهما الرفض التام لكل أشكال السيطرة الاستعمارية، ثم أبديا مواقفهما الواضحة من كل التحديات ومجمل قضايا الأمة العربية والاسلامية مع رسم الهدف الأسمى لنضالاتهما وهو الاستقلال.

**كلمات مفتاحية :** الفكر السياسي– مصالي الحاج– عبد الحميد بن باديس – السيطرة الاستعمارية– النضال – الاستقلال– الشعوب– العالم العربي– العالم الاسلامي.

## مقدمة:

شكلت مجمل التيارات السياسية للحركة الوطنية في الجزائر، مع مطلع القرن العشرين نمطا متجددا في أسلوب النضال ضد الوجود الاستعماري الفرنسي.

واعتبر ذلك أحد حلقات التحدي والمجابهة لكل الممارسات الاستعمارية المفروضة،التي شملت مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وظلت بذلك مجمل نشاطاتها السياسية داخليا وخارجيا، تعبر بوضوح عن مستوى تحول الفكر السياسي الجزائري وفق مختلف التطورات التي عرفتها البلاد العربية والإسلامية في ظل الاحتلال.

ولعل كل من التيارين الاستقلالي بزعامة مصالي الحاج وجمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها الشيخ بن باديس،كانا أبرز ركائز الحركة الوطنية،كونهما حققا عبر مساراتهما وحتى سنة 1954 ثقلا سياسيا وطنيا وعربيا وإسلاميا.

فهل عبرّا عن الوطنية الحقيقية تجاه الشعوب العربية والإسلامية ؟ وهل دافعا عن كيانها ووجودها باعتبارها جزءا لا يتجزأ منها؟ وهل تقاسما مأساتها ومرارة الاستعمار؟ والى أي مدى حملت همومها وقضاياها محمل الجد؟ما مواقفها من كل المستجدات ذات الصلة بها؟

- **المغرب العربي في الفكر المصالي والباديسي:**

**1- الفكر المصالي:**

لقد تقاسمت البلاد المغاربية بشكل جلي واقع الاحتلال الفرنسي على العموم،الأمر الذي طرح فكرة النضال في إطار الشمال الإفريقي منذ حركة الأمير خالد.

وما يثبت ذلك التظافر في الجهود النضالية حضور ممثلان باسم نجم شمال إفريقيا هما مصالي الحاج الكاتب العام للنجم والشاذلي خير الله عضو الحزب الدستوري الشيوعي من تونس،حيث قدم الأول مطالب الجزائر ومطالب المغرب و أفصح عن تعسف الامبريالية الفرنسية في الجزائر،وقدم الثاني المطالب الأساسية لتونس تضمنها تصريحه باسم تونس الفتاة و الذي ذكر فيه تاريخ الحماية. (1)

ناضل مصالي الحاج في كثير من الحالات من أجل استقلال الجزائر والوحدة المغاربية،فكانت مداخلاته المتتالية في مختلف التظاهرات تشير لذلك وأكدته أيضا تقارير الشرطة الفرنسية. (2)

---

(1)-محمد قنانش:الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 ،ص42.

(2)-أمحمد مالكي :الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي،ط2،مركز الدراسات للوحدة العربية،بيروت،1993،ص94.

فكان يرى من الضرورة بالنسبة لشعوب المنطقة محاربة فرنسا و لا يجب الموت من أجلها، وصولا إلى الهدف الأسمى وهو الاستقلال الذي هو مطـلبا جوهـريا، وهو المنهج الأوحد للنجم ضمن سياق مغاربي حيث دلّت المناشير التي وزعت في تونس على أهمية الوحدة التي أثارتها جريدة الإقدام التي تعرضت الى توقيف توزيعها بتونس. إلى جانب ذلك نشره بيان عنوانه"من أجل استقلال شمال إفريقيا"، رافضا العمليات العسكرية الفرنسية في الأطلس المتوسط وتافيلالت مناديا يا شعوب شمال إفريقيا انهضوا وتصدوا لحرب المغرب. (3)

كما جاء نداء "الإقدام" بعد أن 'طَلب من الجزائريين والتونسيين رفض التجنيد الإجباري ثم من المغاربة الالتحاق بالمقاتلين فدعا إلى تشكيل جبهة موحدة ضد حرب المغرب.

لقد كانت هناك قناعة راسخة بأن تحقيق الاستقلال للبلدان المغاربية لا يمكن أن يكون إلا بالدعم البيني والتظافر وتكثيف الجهود والإرادة،بل أنه من الواجب دعم حركات التحرير الشامل لها، كما ثبتت مختلف النداءات المتلاحقة فعاليتها وتجسيدا لها على أرض الواقع حيث سافر شوقي مصطفاي عضو حزب الشعب 1941 إلى المغرب والتقى بمناضلين من الكتلة الوطنية المغربية في مراكش وبعض الوطنيين في الدار البيضاء وتمت المحادثات حول التعاون والتنسيق بينهما من حيث التخطيط والإمكانات المادية. (4)

وانتقل موفـدين من حزب الشعب الأمين دباغين ومبـارك فيلالي باتجاه وجدة ومنها إلى مراكش ،فاتصلا بالمناضل المهدي بن بركة الذي كان عضوا قياديا في حزب الاستقلال أين قدم موافقته المبدئية وتم أخيرًا الاتفاق بين الأحزاب الثلاثة على جانبين أساسيين وهما:

. تهيئة الوضع العام من أجل استقلال الأقطار الثلاثة ولو بالعمل المسلح .

عدم التفاوض مع فرنسا أو اسبانيا بشكل منفرد ودون تنسيق (5)

---

(3)-محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، تر محمد بن البار،دار الأمة ،2011،ج1،ص248.

(5) -Haroune Ali :Messali Hadj De l'étoile Nord Africaine au MNA ;casbah,Alger 2006.P16.

(5)-محمد علي داهش:الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي،ط1،دمشق2000،ص15.

وجدّد تيار مصالي الحاج اتصالاته بعد الحرب العالمية الثانية بحزب الاستقلال المغربي والذي كان يرى بضرورة تكوين جبهة بين الأحزاب الثلاث :حزب الشعب،حزب الاستقلال و حزب الدستور الجديد قصد تحقيق الاستقلال وتجنب أي مفاوضات منفردة مع فرنسا.

أما بالنسبة لتونس تم التواصل مع أعضاء من حزب الدستور الجديد ومنهم المنجي سليم الذي تمت موافقته على التنسيق العسكري في الجنوب والتنسيق السياسي في الشمال من خلال المظاهرات.

ورغم تلك الجهود والنوايا الصادقة من قبل التيار الاستقلالي الجزائري في لم شمل الدول المغاربية رغم تكرار اللقاءات معها منها لقاء طنجة 1949 إلا أن كل من تونس والمغرب لجأتا إلى توجه مخالف فيما بعد.

لم يكن إصرار الأحزاب الوطنية الثلاث المغاربية على الوحدة في النضال داخل كياناتها فحسب،بل أنها بادرت بتقديم مذكرة مشتركة للأمانة العامة للأمم المتحدة 2نوفمبر 1948 أين عالجت مقدمتها الطويلة الوحدة المغاربية وذكرت بأن نجم شمال إفريقيا قد شكل أرضية حقيقة للعمل المشترك ضد السياسات الاستعمارية الفرنسية وبالتالي التأكيد على إيمانها بمبادئ الأمم المتحدة وإرادتها في الكفاح بكل الوسائل المتاحة. (6)

وفي سياق الدعـوة إلى الوحدة والنضال المشترك فقد أولت "جريدة المنار" (7) اهتماما كبيرا لذلك ، أين دعت في افتتاحية عددها الأول إلى توحيد السياسة المغاربية باعتبار أن الأقطار الثلاث مستعمرة من طرف فرنسا حيث أوضحت مختلف المقالات التي نشرت بها أهمية ذلك والضرورة القصوى من أجل تحقيق الأهداف السامية لشعوب المنطقة. (8)

ثم عادت الأحزاب المغاربية مرة أخرى 3 فبراير 1952 تحت ضغط الظروف الصعبة التي عاشتها مع الاحتلال إلى إبرام ميثاق الشمال الإفريقي وفيه تعهدت بتعزيز المقاومة وتنسيق الأعمال والنشاطات والمتابعة الدورية لمختلف الأحداث الداخلية والخارجية.

---

(6)- Benjamin Stora :Messali Hadj1898-1974 ;poche10septembre2012 ;p112.

(7)- هي جريدة نصف شهرية ظهرت من أجل جمع كلمة الشعب من أجل التحرر صدر عددها الأول 29مارس 1951واستمرت في الصدور حتى يناير 1954 ابرز كتابها من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ،اهتمت بالقضايا العربية والمغاربية.

(8)-إبراهيم لونيسي:بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،2013ص202.

## 2- الفكر الباديسي:

كان ابن باديس ينطلق باتجاه دول منطقة المغرب العربي من مقومات الشخصية الجزائرية ،إذ يتدرج الى تحديد المدار الصغير لهـذه القضية فيقول في هذا الصدد « نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا..» (9)

فتونس بالنسبة له لم تكن بعيدة عن وجدانه و فكره إن لم نقل أنها كانت الجغرافيا الخلفية له في تعليمه كطالب ومبتدئ في ممارسة التدريس واحتكاكه بالعديد من العلماء أمثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي لازمه قرابة ثلاث سنوات ثم الشيخ بشير صفر وغيرهم الذين جمعهم جامع الزيتونة ، الذي انصهرت فيه جل اهتماماتهم بقضايا بلدان المنطقة المغاربية أو الشمال الإفريقي على العموم ، وبذلك أصبح لمؤسسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رؤية إقليمية في مسار النضال وبعدا مغاربيا في نضالاتها تزامنا مع نضالات الحركة الوطنية. (10)

لقد ساهم العلماء إلى حد كبير في إعطاء الصيت المغاربي لنشاط ابن باديس وآفاق فكره،بل عملوا على توثيق الصلة بين بلدان المغرب العربي والعديد منهم من ترك بصماته الفاعلة في النشاط السياسي للحركة الوطنية التونسية، و مكّن بن باديس لتلك الروابط من التطور والتناسق منذ أن عاش في تونس وهو طالبا ومعلما بجامع الزيتونة مدة أربع سنوات. وأكد على ذلك التوجه في الخطاب الذي ارتجله بمناسبة إحياء ذكرى وفاة البشير صفر ربيع سنة 1937 «أصرح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليـوم لأكون جنديا من جنود الجزائر». (11)كما أبدى اهتمامه الكبير بتونس وبمجريات التحولات التي طرأت عليها مركزًا على علمائها الذين دعاهم إلى ضرورة إصلاح المجتمع وتدارك الأوضاع التي كانت تهدد كيان الأمة التونسيةّ و ضرورة الخروج عن الصمت الذي هم فيه والشعور بقضايا الأمة.

ولعل المقال الذي عنونه بـ « إلى علماء جامعة الزيتونة » يحمل الكثير من تلك الهواجس والشعور العميق بالانتماء إلى الأمة التونسية،محملا فيه كامل المسؤوليات الدينية والأخلاقية والسياسية لهم تجاه مجتمعهم،على أن يظهروا الحق و يعملون على تعبئة المسلمين. (12)

---

(9) -عبد الحميد ابن باديس: «لمن أعيش» الشهاب ،كانون الثاني 1937 ص4 وابن باديس :آثار عبد الحميد بن باديس مج2 ،ج2 ص236.

(10)- بوعلام بلقاسمي:البعد المغاربي في إيديولوجيات الحركة الوطنية 1911-1932 ،المصادر العدد7 ،نوفمبر 2011.

(11)- الشهاب:عدد نوفمبر 1937،أنظر أيضا إبراهيم لونيسي:بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة دار هومة 2013، ص 154.

(12)-البصائر 20 مارس 1936 ،العدد الأول 2013 ،الشهاب ج1-م12 أبريل 1936.

وما يؤكد ذلك التواصل البيني بين تلك الأطراف المختلفة في كلا البلدين، ذلك الارتياح الكبير تجاه ما ينشر على صفحات المجلة الزيتونية معتبرا ذلك خطوات هامة في الطريق الصواب .

وعبر أيضا عن فرحته وفرحة الشعب الجزائري عامة بعودة الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي من منفاه يوم 16 جويلية 1937 من خلال البرقية التي بعث بها إلى تونس والتي جاء بها « إن جمعية العلماء الجزائريين تحيي بكل فرح وسرور عودتكم من منفاكم وتساهم بقسط من فرح وسرور إخوانها التونسيين المحتفلين بعودة الزعيم المحبوب المحترم الذي ضرب المثل الأعلى في الإخلاص والتضحية » (13)

ومن أجل توطيد تلك العلاقات المميزة فقد ذهب ابن باديس لتحيته باسم الجمعية،و نظمت في تونس احتفالات مرحبة بقدومه للتهنئة والتآزر،مما جعل الصحافة الفرنسية ترى في هذا الحدث أمر غير طبيعي وموقف واضح تجاه الإدارة الاستعمارية،ورأت أيضا في ذلك نوع من التآمر على الوجود الفرنسي بالمنطقة،وهي دعوة صريحة إلى توحيد الجهود بين مختلف الأقطار المغربية.

وما يؤكد استمرارية ذلك التواصل فان جمعية العلماء المسلمين قد بيّنت مطالب جمعية طلبة شمال إفريقيا التي كان مقرها باريس، إلى درجة أنها وظفت مؤتمريها المنعقدين بالجزائر 1932 و 1936 لصالح قضايا الجزائر والمنطقة ،فكانت الخطابة فيهما تصب في تلك المواقف الموحدة للشعبين وشعوب المنطقة عامة، وما زاد من أهمية ذلك حضور ابن باديس والإبراهيمي والعقبي مما أطفَ على الحدثين وَقعاً آخر.

ولم تنقطع تلك العلاقات البينية بل وطدت من حين لآخر ،ومن مناسبة لأخرى، كما هو الحال في المؤتمر الذي انعقد بتونس 1936 والذي حضره الزاهري ممثلا للجمعية أين قدم خلاله تقريرا هاما حول التعليم مما جعل الادارة الفرنسية من خلال تقاريرها تؤكد أن جمعية الطلبة الزيتونيين كانت بمثابة الناطق الرسمي لجمعية العلماء المسلمين في تونس. (14)

ووجدت تونس كل الدعم من أشقائها الجزائريين خلال مراحل متتالية من نضالاتها إذ أن الإبراهيمي بعد الحرب العالمية الثانية ساند إضراب الطلبة الزيتونيين من أجل إصلاح التعليم والذي كان إضرابا معبرا عن رفض الأوضاع التعليمية التي طالما نبّه لها الشيخ بن باديس . (15)

---

(13)- الشهاب: جمادى الأولى 1356 ،جويلية 1937.

(14)- أبو القاسم سعد الله:أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج4،عالم المعرفة،الجزائر،ص151-152 .

(15)-احمد مريوش:دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،ج1،كنوز الحكمة،ط1،2013،ص167.

كما وطدت الصلات بالحزب الدستوري التونسي الحر، الذي كان له تضامن واسع مع عمال المغرب العربي خاصة خلال الإضراب الذي نظمه 20 نوفمبر 1937 مؤازرة للشعب الجزائري،مما جعل بن باديس يقدم عرفانه للدستوريين شاكرا لهم موقفهم المؤيد في رسالة موجهة لهم معتبرا هذا التوجه هو تجسيد للوحدة العربية [16]

لقد كانت لتونس مكانة خاصة في نفس ابن باديس "حقا أن لتونس هوى روحيا بقلبي لا يضارعه إلا هوى تلمسان "[17]

وتأثر أيضا في حياته العلمية ودعوته الإصلاحية بفكرة بناء المغرب العربي حيث قرأ للعديد من أعلام المدرسة الأندلسية المغربية في مجالات متعددة منها الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب، مما جعل تلك المعارف منهلا للكثير من تلامذته.

اختار كتاب الشِّفا للعلامة القاضي عياض في أن يكون جانبا من عملية التدريس بقسنطينة 1913 وحقق مخطوط كتاب العواصم من القواسم بقطب المغرب كما سماه بنفسه الإمام أبو بكر بن العربي.

وتأثر أيضا بأفكار هذا الأخير وبالإمام أبي عمر بن عبد الرب القرطبي وأخذ عنهما الكثير خاصة في ما يتعلق بالأسلوب الذي انتهجه في إصلاح طرق التدريس التي كانت سائدة في عصرهما بالأندلس.

ومن صور عملية تفعيل التواصل مع المغرب الأقصى ما كتبه في الشهاب عن ذكرى الظهير البربري أو المرسوم الذي أصدره سلطان المغرب 16ماي 1930 يفرض من خلاله على القبائل البربرية ترك التحاكم إلى الشرعية والاعتماد على العرف،فكتب يقول "لقد دأب إخواننا المغاربة على إحياء هذه الذكرى المؤلمة كل يوم 16 ماي 1930".[18]

وتوجه إليهم ببيان يعبر فيه عن موقف علماء الجزائر، مؤكداً مشاركتهم ومساندتهم لإخوانهم المغاربة في هذا الشأن، مقدما لهم النصيحة بمواصلة الجهاد فيقول:"وأننا لنشارك قلبا وقالبا شقيقتنا المغربية في هذا الحداد الوطني الديني ونرفع أصواتنا إلى جانبها بالاحتجاج العميق والاستياء البالغ " ثم يقول "لرجال المغرب الأحرار كما يصفهم: إن هذه المظلمة لتزول عنهم إلا بفضل جهادهم ونضالهم واستماتتهم في سبيل كلمة الحق وتوحيد الصفوف"

---

(16)-المرجع نفسه،ص154.

(17)- محمد بن سمينة:أسس مشروع النهضة عند الإمام ابن باديس،ج1،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى،الجزائر،2007،ص429.

(18)- الشهاب،ج4،م13،ربيع الثاني،1356-11جويلية 1937.

ومن المواقف الداعمة للحريات الدينية تقديمه لاحتجاج في برقية لكل من وزير الخارجية الفرنسي والمقيم العام للرباط عندما أقدما على تعطيل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف معتبرا ذلك الإجراء إهانةً للإسلام والمسلمين [19]

كما أخذت شخصية تهامي الجلاوي مجالا وافرا من النقد والتهجم من قبل جمعية العلماء المسلمين لموقفه من العرش العلوي ومساندته للاستعمار الفرنسي على حساب الحركة الوطنية في المغرب.

و أبرق أيضا العلماء إلى السلطان محمد الخامس بعد عودته من منفاه مهنئين بهذا الحدث العظيم ثم توجه أيضا وفدا عال المستوى لاكتمال التهنئة باسم كل الشعب الجزائري[20]

ولم تكن تلك المواقف مختلفة عن المواقف باتجاه ليبيا المستعمرة أنذالك من قبل ايطاليا، حيث جعلت جمعية العلماء من كل قضاياها وأحداثها من أفراح و أقراح مجال اهتمام ومتابعة سواء من خلال المواقف أو المعالجة عبر ما كان ينشر في جرائدها، فتعاطفت مع الليبيين في طرابلس الغرب وبرقة فيما ابتلوا به من سياسات استعمارية ايطالية قاهرة وظالمة وتجلى ذلك في دعوتها بعض الجمعيات الإنسانية لتلعب دورا في رفع الغبن عنهم وإيقاف الجرائم، فشعر الجميع بكل نداءات النجدة التي رفعها الليبيون إلى إخوانهم المسلمين عامة من أجل التكاثف لرفع المظالم ووضع حد لسياسة القمع والقتل والتشريد وطمس للهوية[21]

ويبرز ابن باديس موقفه الداعم لليبيين في قوله "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تلبي هذا النداء الصادر عن القطر الشقيق المظلوم وترفع صوتها بالاحتجاج والاستنكار ضد ما ترتكبه ايطاليا من الظلم الفادح الذي أنزلته على طرابلس العربية المسلمة فأصابت به كل قلب عربي وكل مسلم وتنذرها بأن الضمير الإسلامي والعربي قد استيقظ من نومه[22]

- **المشرق العربي الإسلامي في الفكر المصالي والباديسي**

## 1- في الفكر المصالي:

لم تكن القضية الجزائرية في تصورات التيار الاستقلالي وفكر مصالي الحاج واقعا معزولا عن المحيط الإقليمي والعربي و الإسلامي في آن واحد،حيث أثيرت أهمية الجزائر في حوض البحر المتوسط وكيف أنها قلعة للحفاظ عن السلم،وأن الأطماع

---

(19)- البصائر:23 جويلية 1937.

(20)-أبو القاسم سعد الله:أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،المرجع السابق،ج4،ص151.

(21)- محمد بن سمينة : المرجع السابق:ص427.

(22)- بن باديس:آثار الإمام ابن باديس،الشركة الجزائرية للنشر،1417-1941 ،مجلد3،،ص265.

المتكررة في المنطقة خاصة لدى ايطاليا وألمانيا قد تسبب مشاكل مختلفة من شانها أن تعكر الأجواء السياسية مما يتطلب من الإدارة الاستعمارية الاقتناع بان سكان الشمال الإفريقي هم القادرون على حماية كيانهم، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا شعروا بأنهم يدافعون عن مصالحهم.

إن مقارعة ومحاربة الفكر الاستعماري في إيديولوجية التيار الاستقلالي كان السبيل الأوحد في حماية الشعوب من كل المؤامرات الاستعمارية،وجُسّد ذلك في رسالة الاحتجاج الموجهة إلى قنصل ايطاليا من جراء الاعتداء على ألبانيا "إن الشعب الجزائري والعالم الإسلامي يستنكر بشدة العمل الهمجي و اللصوصي. (23)

لقد تضمن الاحتجاج صراحة مكانة العالم الإسلامي والدفاع عن كرامة شعوبه في إطار ما سمح به القانون الدولي وفي ظل الادعاءات بحرية الشعوب في تقرير مصيرها،وبالتالي الإقرار بتظافر الجهود مع جميع المسلمين ضد العدوان وكامل الأطماع التي تحاك ضد الدول الإسلامية (24)

وفي هذا الصدد أولت جريدة الأمة من خلال مقالاتها بقضايا سوريا وهي تحت الاحتلال الفرنسي

فأبرزت نشاط الطلاب والإضراب العام في سوريا والاحتلال العام لدمشق وحلب ثم القوانين الاستثنائية التي فرضت عليها. (25) و أعطى التيار الاستقلالي أيضا أهمية بالغة أخرى للقضية الفلسطينية حيث أكد أنها تدرج ضمن نضالات الشعوب من أجل استرجاع كيانها وحقوقها المغتصبة من قبل إسرائيل ولا يمكنها أن تعتبره صراعا عقائديا أو عرقيا كما ادعت بعض الأوساط اليهودية.(26)وفي هذا الإطار أسست لجنة شمال افريقيا للتضامن مع ضحايا العرب لفلسطين 1938 وواكبت جريدة الأمة كفاح الشعب الفلسطيني مدعمة حقه في تقرير مصيره،كما رافعت حركة الانتصار من أجل دولة عربية حرة ومستقلة،واتخذ موقفاً ضد القرار المجحف لحقوق الشعب من قبل الأمم المتحدة ثم رفض الاعتراف بإسرائيل وعدم القبول بالدولة الجديدة في هذه المنظمة الدولية. (27)

---

(23)-إبراهيم لونيسي:بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصر،دار هومة،2013،ص152.

(24)-المرجع نفسه،ص306.

(25)- بن باديس:آثار الإمام ابن باديس،المصدر السابق،ص479.

(26)- عمار طالبي: عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره،ج4،دار اليقظة العربية دمشق،1968،ص451.

(27)-أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق،ج4،ص155.

وقد شعر التيار الاستقلالي بعدم وجود إستراتيجية في مواجهة العدو الإسرائيلي وغياب نضال موحد من أجل تحقيق الاستقلال مما جعل فكرة التضامن العربي و الإسلامي قضية جوهرية.

وقد جسّد ذلك عمليا بالمشاركة في العمليات الحربية حيث دعا أحمد مزغنة إلى إنشاء الهيئة العليا لإغاثة فلسطين. وأرسل في هذا الشأن متطوعون شاركوا في حرب 1948 وأسهم أيضا ذلك التيار في تشكيل لجنة شمال إفريقيا للتعاون مع الضحايا الفلسطينيين في باريس سنة 1942[28] .

وحتى يتم التواصل المباشر بين مصالي الحاج ومختلف الفعاليات السياسية والعربية والإسلامية تم توضيح المواقف الجادة للتيار الاستقلالي والتفافه حول قضاياها المصيرية حيث أقام مصالي الحاج مأدبة لوفودها لدى هيئة الأمم المتحدة واستقبل حينها الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا وممثلي دول المشرق العربي والمنظمات السياسية والطلابية ووزير خارجية باكستان وقنصل اندونيسيا بباريس .

فحَيّ الوفود على تلبية الدعوة مبشرًا في خطابه أمام هذا الحشد على أن هذا الاجتماع هو رمز الوحدة وتضامن الشعوب العربية والإسلامية وأن قضاياها هي قضية واحدة تتلخص في الحرية مما يستوجب الوقوف مع الشعب المصري والسوداني وغيره. [29]

## 2- في الفكر الباديسي:

أدرك الشيخ بن باديس بمعية علماء الجمعية أن الأمة العربية لها امتداد من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا مرتكزة في ذلك على فكرة القومية العربية وداعية الى التمسك بها "ولنا من هذه القومية العربية الخالدة مثل ما لغيرنا،ولنا من هذا التاريخ الممتد البعيد مجد وملك مثل ما لغيرنا وفوق ما لغيرنا" [30]

وفي هذا المنحى فقد استشعر بن باديس بالخطر الصهيوني محذرا من خطورة الزواج غير الشرعي بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية، الذي أنتج للكثير من اليهود الطمع الأعمى الذي وجههم إلى فلسطين.

---

(28)-Messali Hadj : Les mémoires de Messali Hadj1898-1938;Edition ANEP2007 ;page 179

(29)- مناصرية يوسف:"بعض وثائق حزب الشعب حول لجنة الدفاع عن فلسطين " ،مجلة الدراسات التاريخية، ع3، 1987،ص25

(30)-محفوظ قداش . محمد قنانش:المرجع نفسه،ص104.

حيث شرح الحالة الفلسطينية من وجهة نظره على أن الخصومة ليست بين عرب فلسطين، ويهودها ولا بين مسلم ويهودي على وجه الأرض، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الانجليزي من جهة والإسلام والعرب من جهة أخرى والضحية فلسطين، موضحًا ذلك بقوله:" نريد الاستعمار الانجليزي الغاشم أن يستعمل الصهيونية لتقسيم الجسم العربي وحط قدس الإسلام،فيملأ فلسطين بالصهيونيين المنبوذين من أمم العالم ولأجل هذه الغاية الظالمة تجند جنود الانجليز وتجمع أموال الصهيون وتسفك الدماء البريئة وتلطخ بها الرحاب المقدسة" .

وحتى يعطي بن باديس لمثل هذه القضايا الإستراتيجية بعدها الديني والسياسي على كل المستويات،فانه ناصر القضية الفلسطينية عندما قررت اللجنة الملكية البريطانية تقسيم فلسطين سنة 1937 فأرسل رسالة احتجاج الى وزير خارجية فرنسا جاء فيها:"باسم الأمة الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين ذلك القطر العربي الذي ضمنت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله وأعتبر هذا المشروع ضربة قاضية على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين طويلة دفاع الابطال عن شرفه وحريته واعتداءا شنيعا على جميع الشعوب العربية الاسلامية" . [31].

و بعث الإمام بن باديس برسالة إلى البرلمان العربي المجتمع بالقاهرة معربا لهم عن موقف الشعب الجزائري المساند مساندة بدون تحفظ للشعب الفلسطيني لكل ما تسفر عنه أشغالهم، ودعا إلى تشكيل لجنة إغاثة تقوم بجمع تبرعات من مختلف أنحاء الجزائر وإرسالها للقدس حاثا على نصرتهم دوما وفي كل المناسبات الدينية خاصة مواسم إحياء ليلة الإسراء والمعراج[32]

وبذلك تعاطف الشعب الجزائري ضمن مسار الفكر الباديسي مع فلسطين قبل مشروع التقسيم مما يؤكد عدم الانغلاق على العالم العربي و الإسلامي،أي منذ أن اقترف الاحتلال الانجليزي العديد من الجرائم ضد الفلسطينيين خاصة ظاهرة الإعدامات ضدهم، مما تطلب رفع لواء الجهاد من أجل استعادة الحرية "وكل جهاد خلا من الضحايا ومن الشهداء يعد جهادا عقيما"مع تمادي الانجليز في وحشيتهم وقمعهم للفلسطينيين فان هؤلاء قرروا الثورة سنة 1936 . [33]

---

(31)- رحيلة عامر : "انفتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء العربي 1945-1954 "،مجلة المصادر العدد6،مارس2002.

(32)-محفوظ قداش: المرجع السابق،ج2،ص1007.

(33)-عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: المرجع السابق ،ج3،ص219

فتصادفت تلك الأحداث مع انعقاد المؤتمر السنوي العام لجمعية العلماء المسلمين حيث وقف الإمام بن باديس ومن منبر المؤتمر مقدما تعاطفه مع أشقائه الفلسطينيين وما يلاقيه الأهل في القدس من دنس وتنكيل وغطرسة وطغيان متضرعا من الله أن يخفف عنهم، محتجا لكل من يشعرون بمشاعر الأخوة والإنسانية لعلهم يهتزون لذلك وينقذون الموقف حين قال: " فبلسانكم ولسان الجزائر كلها من الأجنة في بطون الأمهات إلى الذين في الأجداث أرفع الشكوى إلى الله ثم الاحتجاج إلى كل من فيه إنسانية من جميع الامم."(34)

وهو ما جعل جمعية العلماء تستمر في متابعة القضية خاصة بعد انسحاب بريطانيا من المنطقة وإعلان قيام الكيان الصهيوني 1948 وما تلاه من حرب عربية مع الصهاينة، أين واصلت صحف الجمعية دورها الهام في التعبئة والتوعية بمخاطر المرحلة التي تعايشها المنطقة خاصة جريدة البصائر التي كان لها الدور الكبير في متابعة كل ما يجري على ساحة فلسطين من تحولات وتطورات، وهو ما تضمنته مختلف المقالات التي كانت تنشر في قسم "منبر السياسة العالمية"المحرر باسم الكاتب أبو محمد الذي عبر بأكثر من طريقة عن تأييده للحل العسكري الذي اتخذته الجامعة العربية لإنقاذ المسلمين.

كما أعد البشير الإبراهيمي العديد من المقالات التي نشرها قي نفس الجريدة لسان حال الجمعية معتبرا فلسطين جزءا من الوطن العربي بقوله: "إن الجزائر وطنكم الصغير وان إفريقيا الشمالية وطنكم الأكبر وان الرجل الصحيح الوطني هو الذي لا تلهيه الأحداث عن القيام بواجبات وطنه الأصغر والأكبر"(35)

ودعما لتلك المواقف فقد دعا الجزائريين أيضا إلى صوم أسبوع في الشهر والتبرع بنفقاته لصالح فلسطين،فلقيت بذلك مواقف الجمعية استحساناً وإشادةً من قبل مفتي فلسطين محمد الأمين الحسيني الذي بعث برسالة إلى البشير الإبراهيمي عبر له فيها عن تقديره بدور الجزائر في نصرة الفلسطينيين خاصة تلك المبادرة التي ثمنها والمتمثلة في تجنيد عدد من المتطوعين وإرسالهم إلى القتال.

وما جاء في تلك الرسالة مايلي: " فباسم فلسطين المجاهدة نقدم إلى فضيلتكم والى أصحاب الفضيلة العلماء الأجلاء أعضاء المؤتمر أخلص الشكر على هذه القرارات الحليمة التي دفعكم إيمانكم وصدق غيرتكم الإسلامية إلى إقرارها راجين أن يكون لها أثرها المنشود وأن يكتب الله النجاح والتوفيق للجنة الإعانة فيهبّ إخواننا الجزائريين الأكارم سِراعًا للاستجابة لندائها ولنجدة فلسطين الجريحة التي تقاسي الشدائد والمحن وتتعرض لمجازر بشرية لم يعرف لها التاريخ مثيلا"(36)

---

(34)-مناصرية يوسف:"بعض وثائق حزب الشعب حول لجنة الدفاع عن فلسطين" ،مجلة الدراسات التاريخية، ع3، 1987،ص25

(35)-أحمد طالب الإبراهيمي:آثار الإمام البشير الإبراهيمي،دار الغرب الإسلامي للنشر،مجلد1997،1،ص488.

(36)- البصائر:الاثنين 11 أكتوبر 1948،مج2، ع52 ،ص54.

إن تلك المواقف ومختلف حملات التحسيس عبر التطورات التي عرفتها القضية الفلسطينية ،اعتبرت تحديا واضحا وكبيرا في ظل وقوع الجزائر تحت طائلة الإدارة الاستعمارية الفرنسية بقوانينها المتشددة .ورغم ذلك فان جهود العلماء المترجمة لقناعاتهم الفكرية كانت على محك الأحداث بكل ما يمتلكون من إمكانات مادية ومعنوية بما في ذلك القصائد الشعرية المدعمة والداعية إلى التحرير بالجهاد المقدس الذي هو دور جميع المسلمين عامة،إذ أن شاعر الجمعية محمد العيد آل خليفة كان قد مجد فلسطين بشعر كان يصعد عنده إلى قمة الوعي القومي عندما لوح بالثأر في مراحل تطور حرب 1948 .

كما اعتبرت مسألة الخلافة الإسلامية العثمانية عند بن باديس قضية جوهرية في رؤيته الفكرية لما لها من انعكاسات على الواقع العربي برمته، حيث خصّ بن باديس أربع مقالات بشأنها اثنتان منهما نشرهما بعد سقوطها مباشرة [37] بينما الثالثة والرابعة بعد 1930 [38] .

وما يجب ملاحظته والتركيز عليه هي تلك المضامين التي استوعبتها خاصة مسألتين اثنتين هامتين الأولى تعلقت بمشروعية تلك الخلافة في مراحلها الأخيرة والثانية فكرة تأسيس جماعة المسلمين بديلا عنها ويحدد في المقالين الأولين مفهومه وموقفه من الخلافة الإسلامية وجنايات الكماليين عليها وعلى المسلمين عامة وحتى من يأمنون بها ثم الحالة التي وصلت إليها والتي أدت إلى سقوطها وإنهاء وجودها وكذا المحاولات الأجنبية المشبوهة في إعادة ترسيم أركانها الأمر الذي استدعى من المسلمين عامة بالضرورة إلى الحيطة والحذر والبحث عن مخارج لذلك.

لقد أثنى على الخلافة العثمانية في عهودها الذهبية عندما كانت قوية جامعة للمسلمين متبنية الدين الإسلامي ومدافعة عنه بكل ما تملك من قوة مادية وعسكرية واصفًا إيّاها بأنها "رئاسة عامة على أمر الدين والدنيا،خلافة عن النبي عليه الصلاة والسلام"[39]

وهو الشـيء الذي جعل من عامة المسلمين في هذه الحالة يولون الدعم والتأييد والمؤازرة والديمومة لها حتى وهي في أضعف حال، كونها الإطار السياسي الذي يمكن الأمة الإسلامية من مجابهة كل الأطماع الغربية المحدقة بها .

---

(37)- أثار الإمام:المرجع السابق ،ج6،ص20-21.

(38)-ابن باديس :المصدر السابق،ج4،ص213.

(39)-ابن باديس:آثار الإمام:المرجع السابق،ص25.

إلا أن مجيء الكماليين وظهورهم على الساحة قد زاد من تفكك الأوضاع وتدهورها كونهم زعزعوا كيان هذه الخلافة وأفرغوها من مكوناتها الأساسية وانحرفوا بها بعيدا عن الطروحات الشرعية.

وفي هذا الصدد نجد الشيخ بن باديس كان مدركاً بقواعد النظام الإسلامي السياسي الأصيل أين انتقد "الخلافة الروحية" أي تنزيل منصب البابوية بالغرب المسيحي الكاثوليكي بمعنى أن ضوابط الخلافة وأسسها كما نص عليه الشرع لا بحراسة الدين وسياسة الدنيا وبالتالي بدعته في الخلافة باطلة وإقدامهم لإلغائها سنة 1924 قضى على أهم أركان النهضة والاتحاد وبالتالي كانت فاجعة العالم الإسلامي . (40)

وصرح في هذا المجال قائلا:"...وبعد فان الدين الإسلامي دين الحقائق والعلوم لا دين التقاليد والرسوم فلنرفض الأوهام وان لامتنا ولنقبل الحقائق وان ألمتنا —ولنقل عن عِلم وإنصاف أن خلافة الكماليين باطلة من أصلها وأن لا خلافة اليوم ،هذا و أن العالم الإسلامي لا يسكت عن مسألة الخلافة ولا يُهمل أمرها وأن أعظم الرجاء معلق على الأمة العربية أمة كنانة الله ،الأمة المصرية العزيزة مصدر العلم والتهذيب للعالم الاسلامي أيام بؤسها ومصدر الحرية والنهوض،هاته الأيام أيام عزها واستقلالها".

وقد حمل البرق نبأ تعلق علماء الأزهر الشريف على عقد مؤتمر إسلامي لهذا الأمر، وأن يكون من شهر مارس من السنة القابلة —وان غدا لناظره قريب —ونحن من المنتظرين والله ولي المؤمنين" (41)

لقد علق الإمام بن باديس بعض الآمال إلى عقد المؤتمر الإسلامي لإرجاع الخلافة إلى وجودها الشرعي، لكن سرعان ما خيبت آماله بعدما تبين أن الغرب يهدف الى تنصيب خليفة موال له فعبر عن موقفه تجاه ذلك لأن لا خلافة اليوم رافضا" كل خليفة تشتم منه رائحة الأجنبي كائنا من كان " (42)

وكل ما كان يراه من جراء هذه الأزمة التي مرت بها الأمة الإسلامية هو ضرورة تكاثف جهود الجميع من أجل التعاون لتحقيق نهضة هذه الأمة، وأن لا تكون مسألة سقوط الخلافة عاملا في إضعاف العزائم جاعلا من بقاء الإسلام وديمومته قاعدة للنهوض من هذه الكبوة وتضميد الجراح.

---

(40)- بن باديس :آثار الإمام :المرجع السابق،ص26.

(41)- محمد الأمين بلغيث:الإمام عبد الحميد ابن باديس و أزمة التخلف الحضاري في الجزائر،مجلة الموافقات، ع6،1997 ،ص12.

(42)- ابن باديس:آثار الإمام بن باديس ،ج5،المصدرالسابق،ص388.

وعاد مرة أخرى إلى موضوع الخلافة بعد خمسة عشر سنة أي سنة 1938 بمقالين اثنين كما تمت الإشارة إليه سابقا بسبب بعض المحاولات العربية الداعية لتنصيب خلافة جديدة أين حدد موقفه منها واصفا إياها بأنها فقدت كل مواصفات الخلافة الحقيقية ولا مجال لإعادة بعثها فالكماليون كما يرى أنهم ألغوا نظاما حكوميا وأزالوا رمزاً خياليا والإسلام باق.

و بذلك لا بد من الرجوع إلى أهل الحل و العقد من جماعة المسلمين في حل قضاياهم المختلفة إذ يقول" ...فعلى الأمم الإسلامية جمعاء أن تسعى لتكون هذه الجماعة من أنفسها بعيدة كل البعد عن السياسة و تدخل الحكومات لا الحكومات الإسلامية و لا غيرها".(43)

ليس ما كان يعنيه هو فصل الإسلام عن النظام السياسي و إنما زيف الخلافة و ما وصلت إليه هو الذي جعله يتخذ هذا الموقف.

وأما المقالة الرابعة التي كتبها على إثر وفاة مصطفى كمال أتاتورك، فقد حملت في مضمونها تعزية تركيا بوفاة احد رجالاتها العظام و الإشادة بما أنجزه في تحرير الشرق الإسلامي كله. (44)

لقد حاول أن يُنصف كمال أتاتورك إلى كامل الحدود و أن يقدر أحسن تقدير قيمة الرجال من خلال أعمالهم و انجازاتهم محاولا بذلك إيجاد مبررات لهفواته و أخطاء الكماليين ،فكانت لهم مواقف في اعتقاده تجعله في مصاف العظماء،إذ انه أحيا الشـــــرق الإسلامي كله و حثه على المقاومة واضعا حدا لأطماع الغرب (45)

و إن كان الشيخ الإمام قد تأسف عنه موقفه إزاء الإسلام ،و لا يحمله في ذلك كامل المسؤولية،بل حمل من كانوا يمثلون الإسلام و يحكمون باسمه و هم خليفة المسلمين و أهم علماء الدين شيوخ الطرقية المتصوفون .

و أُعتبر ردود فعل كمال أتاتورك كانت ضد هؤلاء، مبرّرا ذلك بجرأته في ترجمة القران الكريم من اجل تيسير السبل أمام الأتراك لكي ينهلوا من هذا الاسلام. (46)

---

(43)-ابن باديس:حياته و آثاره،ج4،المصدر نفسه،ص213

(44)- ابن باديس:آثار الامام بن باديس ،ج3 ،المصدر السابق،ص123.

(45)- المصدر نفسه،ص124.

(46)- المصدر نفسه،ص125.

ولم يُحمّله وحده أيضا مسالة إلغاء الأحكام الشرعية و إن كان ذلك على حساب الأتراك الذين عانوا من ذلك، لكنه أعاد لهم الحرية و بإمكانهم أن يسترجعوا وقت ما يشاءون تلك الأحكام.

و قد يرى الدارس و المتتبع مواقف الشيخ ابن باديس من كمال أتاتورك و الخلافة ،هو الجمع بين المؤيدين والرافضين لها،بل أنه حاول أن يخفف من وطأة الجميع على مستجدات تركيا و يضع حدا لكل الأطماع و الحملات تجاهها خاصة و أن بوادر الحرب العالمية الثانية واضحة في الأفق، فكان على وعي بالظروف التي يمر بها العالم الإسلامي مما يستوجب تكاثف الجهود و غض النظر عن كل الهفوات و الأخطاء، و أنه من الحكمة النظر إلى المستقبل للنهوض بالأمة .

**خاتمة:**

مما سبق معالجته في الفكرين المصالي والباديسي بخصوص اهتمامهما بقضايا الأمة العربية والإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها يتضح أن القضية الجزائرية لم تكن بمعزل عن قضاياها إذ قاسمتها الهموم والنضالات عبر محطات تاريخية متتالية وتجلى ذلك في المواقف الايجابية والصريحة التي اتخذت بشأنها من قبل الشيخ عبد الحميد بن باديس و مصالي الحاج من خلال الخطاب السياسي لهما عبر منابر الصحف و التظاهرات المختلفة جاعلان في مراميهما دحر الاستعمار وتحقيق الاستقلال واسترجاع سيادة الشعوب.

## المصادر والمراجع:


- إبراهيم لونيسي:بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،2013
- أبو القاسم سعد الله:أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج4،عالم المعرفة،الجزائر
- احمد مريوش:دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،ج1،كنوز الحكمة،ط1،2013
- أحمد مالكي :الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي،ط2،مركز الدراسات للوحدة العربية،بيروت،1993
- البصائر 20 مارس 1936 ،العدد الأول 2013 ،الشهاب ج1-م12 أبريل 1936،
- البصائر:23 جويلية 1937.
- بن باديس:آثار الإمام ابن باديس،الشركة الجزائرية للنشر،1417-1941 ،مجلد3
- بوعلام بلقاسمي:البعد المغاربي في إيديولوجيات الحركة الوطنية 1911-1932 ،المصادر العدد7 ،نوفمبر 2011.
- الشهاب: جمادى الأولى 1356 ،جويلية 1937.
- الشهاب:عدد نوفمبر 1937،أنظر أيضا إبراهيم لونيسي:بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة دار هومة 2013.
- الشهاب،ج4،م13،ربيع الثاني،1356-11جويلية 1937.
- عبد الحميد ابن باديس: «لمن أعيش» الشهاب ،كانون الثاني 1937 ص4 وابن باديس :آثار عبد الحميد بن باديس مج2 ،ج2
- محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، تر محمد بن البار،دار الأمة ،2011،ج1
- محمد بن سمينة:أسس مشروع النهضة عند الإمام ابن باديس،ج1،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى،الجزائر،2007.

- محمد علي داهش:الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي،ط1،دمشق2000
- محمد قنانش:الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982
- Benjamin Stora :Messali Hadj1898-1974 ;poche10septembre2012 .
- Haroune Ali :Messali Hadj De l'étoile Nord Africaine au MNA ;casbah,Alger 2006.
- Messali Hadj : Les mémoires de Messali Hadj1898-1938;Edition ANEP2007 .


**khelladi_belhadi@yahoo.fr**